المحاضرة السابعة:

إدارة المخاطر (3)

تحليل المخاطر وأبعادها الاجتماعية

تحليل وإدارة المخاطر من منظور تاريخي

أدركت المجتمعات المخاطر منذ بداية التاريخ المكتوب، ومارست أشكالًا مختلفة من التحليل والإدارة في هذا المجال. لقد تم استخلاص الحدس التحليلي في الحضارات القديمة من التقاليد الفولكلورية والشفوية. وقد تم تسجيل الكثير من الطرق من خلال أساطير الإغريق والرومان والكتب المقدسة والسجلات التاريخية الأخرى التي حاولت بها المجتمعات القديمة تحديد مصادر المصائب البشرية مثل الأوبئة والفيضانات والحروب والمجاعات. وتم إيلاء استراتيجيات إدارة المخاطر بشكل عام للطقوس التي تهدف إلى إرضاء الآلهة الغاضبة أو

المحبطة أو الانتقامية. أما في القرون الوسطى، فقد صورت معتقدات الـديانات السـماوية المعانـاة الإنسـانية على أنهـا انتقـام إلهي يمكن تخفيفه بالصلاة والصوم والحج والطقوس الدينية الأخرى. ولا تزال هذه المفاهيم حول مصادر الخطـر وثيقـة الصـلة إلى اليـوم في العديـد من المجتمعـات والجماعـات، كمـا يتضـح من كلمـات الناشـط الإنجيلي الأمريكي بات روبرتسون، الذي أرجع الـدمار الـذي سـببه زلـزال ينـاير 2010 في هـايتي إلى حقيقـة أن الهـايتيين أبرمـوا "معاهـدة مـع الشـيطان" في القـرن الثـامن عشـر من أجـل ضـمان اسـتقلالهم عن فرنسا. إن الفكرة التي مفادها بأن الموت والمرض والكوارث الناجمـة عن ذنوب الناس والتي لا مناص من العقاب عنها ما تـزال تحافـظ على قبضتها وتستمر بشكل متناقض إلى جانب المقاربات المؤسسية لإدارة المخاطر وتحليلها.

باستثناء الاعتقاد المستمر للتدخل الإلهي في الشـؤون الإنسـانية، فإن المفاهيم الشائعة لتحليل المخاطر وإدارة المخاطر لها أصـولها في تفاؤل التنوير حول قـدرة العلم على الدراسـة والتعـرف على القـوانين والعمليــات الفيزيائيــة الــتي يمكن أن تحكم العــالم الطــبيعي. تعــود المقاربات الغربية لتحليل المخاطر وإدارتها إلى الأيام التي تلت زلــزال لشــبونة عــام 1755، والــتي تســببت في تســونامي، وبــدأت مئــات الحرائق، وأسفرت عن مقتل مائة ألف شخص، مما أثّـر على عـدد من فلاسـفة عصـر التنـوير، بحيث ومن هـذه اللحظـة فسـحت التـأويلات الخارقــة للطبيعــة للكــوارث المجــال للتفســيرات العلميــة. بعــد هــذا الزلزال، تم طرح فكرة أنه كـان من الممكن السـيطرة على المخـاطر من خلال تدخل يد الإنسان، علاوة على ذلـك، مـا توضـحه جهـود إعـادة الإعمار بقيادة ماركيز بومبال ثم رئيس الوزراء البرتغالي. إن التخطيـط الحضري والتصميم المعماري في بومبال، الذي عكس المعرفة العلمية

والهندسة في القرن الثامن عشر فيما يخص ميدان الهزات الأرضية، بشرت باستراتيجيات إدارة المخاطر المعاصرة.

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بدأت مبادئ التنوير أيضًا في التأثير على النظريات السوسيولوجية ومناهجها، من خلال التأكيد على أهمية الاكتشافات التي قام بها البحث الامبريقي والقوانين التي تحكم العمليات والسلوكات الاجتماعية. فقد بدأ الاتجاه الوضعي، النابع من الأعمال الفرنسية لكل من الفيلسوف كونت وعالم الاجتماع دوركايم يمثل المرساة المعرفية والأداة التي دعت إلى وحدة العلوم الاجتماعية والفيزيائية في إطار تجريبي مشترك واستخدام طريقة علمية. أصبحت هذه المقاربة الإطار المعرفي السائد في كل من دراسة الطبيعة والمجتمع. في بداية القرن العشرين، تم قبول النموذج الوضعي على نطاق واسع في الغرب، ذلك لأن هذه الفلسفة تهدف

إلى فهم العمليات الاجتماعية والطبيعية والتنبـؤ بهـا والسـيطرة عليهـا، وتشدد على الحاجة إلى التحليل المنهجي القائم على البيانات. لم تـؤثر الفلسفة الوضـعية فقـط على تطـوير جميـع مجـالات الدراسـة تقريبًـا، ولكن كان لها أيضًا تأثير عميق على الطريقة التي قاربت بهـا مجموعـة كاملة من التخصصات دراسة المخاطر.

أدت التغـيرات الاجتماعيـة المرتبطـة بظهـور الحداثـة إلى تطـور تحليل المخاطر وإدارتها. فقد كانت ألعـاب المقـامرة عبـارة عن هوايـة ترفضها أحيانا أو تقبل بها المجتمعات والفئـات الاجتماعيـة منـذ بـدايات تاريخ البشرية، وكان للشعوب القديمة بلا شك فهم بـديهي للاحتمـالات والمخاطر المرتبط بأنواع مختلفـة من الرهانـات. من ناحيـة أخـرى، لم تظهـر الدراسـة المنهجيـة للاحتمـالات، وهي حجـر الزاويـة في نظـام

الإحصائيات، حتى القرن السادس عشر ولكن هـذا البحث كـان حاسـمًا لتطوير المجال المعاصر لتحليل المخاطر.

وبالمثل، كانت هناك طرق عديدة للتأمين على الحياة والممتلكات ضد الخسارة المحتملة على مدى آلاف السنين، لكن المفهـوم الغـربي للتأمين لم يظهر في إنجلـترا إلا في القـرنين السـادس عشـر والسـابع عشر، أولاً كوسيلة لإدارة المخاطر المرتبطـة بالنقـل البحـري، حيث تم تطوير لويدز (Lloyd's of London) كشركة تـأمين بحـري في نهايـة القرن السابع عشر، ثم في شكل حماية ضـد الحرائـق الحضـرية. كمـا أدى الخـــوف من الحريـــق إلى ولادة صـــناعة التـــأمين على خســـائر الممتلكات في الولايات المتحدة الأمريكية. في نفس الوقت تقريبًا، بدأ التأمين على الحياة، والذي كان موجودا منذ فجـر التـاريخ، في تأسـيس أنشـطته على المعلومـات الامبريقيـة والإحصـاءات. هـذه الاتجاهـات،

المستوحاة من التفكير الوضعي لعصر التنوير، ثبتت أسس مجال تحليل المخاطر.

يُعد تحليل المخاطر نظامًا ناضجًا من نواح عديدة. فأساليب هذا التحليل منتشرة بشكل واضح ويتم تدريسها في الجامعات، وقد تم كتابة العديد من الكتب والمقالات حول مناهج صياغة المفاهيم وقياس المخاطر والكثير من المؤسسات المهنية كرست إمكانياتها لهذا الموضوع. يشكل استخدام مناهج تحليل المخاطر الأساس لعمليات صنع القرار في العديد من القطاعات، بما في ذلك معايير البناء في مجال الخدمات والبنية التحتية، وأنشطة الدولة المتعلقة باللوائح وأقساط التأمين والاستثمارات في مجال الأمن. وتعود أصول منهجيات تحليل المخاطر الحالية إلى الأنشطة المحيطة بتقدم الطاقة النووية بعد الحرب العالمية الثانية، كما هو الحال في التقرير المعروف باسم

دراسة سلامة المفاعلات أو تقرير راسموسن، المنشـور من قبـل هيئـة تنظيم الطاقة النووية في عام 1975.

قـد تم انتقـاد الأسـاليب المبكـرة لتحليـل المخـاطر بشـدة لعـدم قدرتها على مراعـاة العوامـل الإنسـانية الـتي قـد تـؤثر على احتمـالات وعواقب الأحداث الظرفية. وقد أدت هذه الانتقادات إلى تطوير منــاهج تسمح بإدخال السلوك الإنساني في حساب المخاطر. ثم احتل مفهـوم خطــأ المشــغل« erreur de l’opérateur » مكانًــا كبــيرًا في الخطابات حول الكوارث التكنولوجيـة. إن صـحة الدراسـات الاحتماليـة للسلامة (EPS) كطريقة لفهم احتماليـة حـدوث جميـع أنـواع الأحـداث السلبية وعواقب هذه الأحداث مثبتة جيدًا لدرجة أنها تعتبر أمرا مفروغا منه. ومع ذلك، فإن التسـويق الثقـافي للدراسـات الاحتماليـة للسـلامة والمناهج المرتبطة بها، كان لها آثار سلبية عديدة.